

مختصر

جامع العلوم والحكم

للإمام الحافظ ابن رجب الجنبلي

أخضره وعلق عليه

محمد بن سليمان بن عبد الله المهنا





## ﴿ الْحَدِيثُ الْأَرْبَعُونَ ﴾

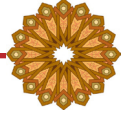
■ عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي؛ فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

## ﴿ الشَّرْحُ ﴾

هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي قِصْرِ الْأَمَلِ فِي الدُّنْيَا؛ وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ الدُّنْيَا وَطَنًا وَمَسْكَنًا فَيَطْمَئِنَّ فِيهَا؛ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهَا كَأَنَّهُ عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ؛ يُهَيِّئُ جِهَازَهُ لِلرَّحِيلِ.



وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم:

قال تعالى حاكياً عن مؤمن آل فرعون أنه قال: ﴿يَقَوْمِ  
إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ  
﴿٣٩﴾ [غافر: ٣٩].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مالي وللدنيا؟! إنما  
مثلي ومثل الدنيا كمثلي راكب قال في ظل شجرة، ثم راح  
وتركها!»<sup>(١)</sup>.

قال بعض الحكماء: «عجبت ممن الدنيا موليّة عنه،  
والآخرة مقبلة إليه؛ يشتغل بالمُدبرّة، ويُعرض عن المُقبلة!»  
وإذا لم تكن الدنيا للمؤمن دار إقامة ولا وطنًا؛ فينبغي أن  
يكون حاله فيها على أحد حالين:

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».  
قوله: «قال في ظل شجرة»: من القيلولة؛ وهي: الاستراحة نصف النهار، وإن  
لم يكن معها نوم. «النهاية» (٤ / ١٣٣).



\* إِمَّا أَنْ يَكُونَ كَأَنَّهُ غَرِيبٌ؛ مُقِيمٌ فِي بَلَدٍ غُرْبَةٍ.

\* أَوْ يَكُونَ كَأَنَّهُ مُسَافِرٌ؛ غَيْرٌ مُقِيمٍ الْبَتَّةَ.

فلهذا؛ وصَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنَ عُمَرَ أَنْ يَكُونَ عَلَى أَحَدِ هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ:

**فأحدهما:** أَنْ يُنْزَلَ الْمُؤْمِنُ نَفْسَهُ كَأَنَّهُ غَرِيبٌ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ غَيْرٌ مُتَعَلِّقٍ الْقَلْبِ بِبَلَدِ الْغُرْبَةِ؛ بَلْ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِوَطْنِهِ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ؛ وَإِنَّمَا هُوَ مُقِيمٌ فِي الدُّنْيَا؛ لِيَقْضِيَ مَرَمَّةً<sup>(١)</sup> جِهَارِهِ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى وَطْنِهِ.

**ومن كان كذلك؛** فَلَا هَمَّ لَهُ إِلَّا فِي التَّزَوُّدِ بِمَا يَنْفَعُهُ عِنْدَ عَوْدِهِ إِلَى وَطْنِهِ؛ فَلَا يَنَافِسُ أَهْلَ الْبَلَدِ فِي عِزِّهِمْ، وَلَا يَجْزَعُ مِنَ الذُّلِّ عِنْدَهُمْ!

(١) المعنى: أَنَّهُ يَجْمَعُ مَتَاعَهُ؛ لِيَرْجِعَ إِلَى وَطْنِهِ؛ فَإِنَّ (الرَّمَّ) هُوَ: إِصْلَاحُ مَا فَسَدَ، وَلَمْ يَتَفَرَّقْ، وَ(المرمَّة): هِيَ مَتَاعُ الْبَيْتِ، كَمَا فِي «لِسَانِ الْعَرَبِ»، مَادَّة: (رَمَمَ).



**الحال الثاني:** أن ينزل المؤمن نفسه في الدنيا كأنه مسافر؛ غير مقيم البتة؛ وإنما هو سائر في قطع منازل السفر؛ حتى ينتهي به السفر إلى آخره؛ وهو الموت!

**ومن كانت هذه حاله في الدنيا؛ فهِمَّتْهُ تحصيل الزاد للسفر، وليس له همة في الاستكثار من متاع الدنيا.**

وأما وصية ابن عمر رضي الله عنه: فهي مأخوذة من هذا الحديث الذي رواه؛ وهي متضمنة لنهاية قصر الأمل؛ وأن الإنسان إذا أمسى لم ينتظر الصباح، وإذا أصبح لم ينتظر المساء؛ بل يظن أن أجله يدركه قبل ذلك!

وقوله: «**وخذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك**»:

**يعني:** اغتني الأعمال الصالحة في الصحة قبل أن يحول بينك وبينها السقم، وفي الحياة قبل أن يحول بينك وبينها الموت!



وفي «صحيح الحاكم» عن ابن عباس، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لرجلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفِرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»<sup>(١)</sup>.

فالواجبُ على المؤمنِ المبادرةُ بالأعمالِ الصَّالحةِ، قبلَ أن لا يَقْدَرَ عليها، ويُحَالَ بينه وبينها؛ ومتى حِيلَ بينَ الإنسانِ والعملِ؛ لم يبقَ له إلا الحسرةُ والأسفُ عليه، ويتمنى الرجوعَ إلى حالةٍ يتمكَّنُ فيها من العملِ؛ فلا تنفعهُ الأُمْنِيَةُ!

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾<sup>(٥٤)</sup> وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ<sup>(٥٥)</sup> أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي

(١) أخرجه الحاكم (٤ / ٣٠٦)، وقال: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرطِ الشيخين»، وصحَّحه الشيخُ الألبانيُّ في «صحيح التَّرجيبِ والتَّرهيبِ» (٣٣٥٥).



جَنَّبَ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتَ لِمِنَ السَّاحِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ [الزمر: ٥٤-٥٨].

وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ [المنافقون: ١٠-١١].





اغْتَنِمَ فِي الْفَرَاغِ فَضْلَ رُكُوعٍ  
فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مَوْثُكَ بَعْتَهُ  
كَمْ صَحِيحٍ رَأَيْتَ مِنْ غَيْرِ سَقَمٍ  
ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَهُ (١)



التصميم الداخلي للكتاب

TharwatSultan@yahoo.com

Tharwat Sultan

للتواصل:  

00201019530152

(١) البيتانِ ذكرهما السُّبُكِيُّ في «طبقات الشَّافِعِيَّةِ» (٢ / ٢٣٥)؛ ونسبهما للإمامِ  
البُخَارِيِّ، صاحبِ «الصَّحِيحِ».